﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف: 54 - 55]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِمَا قَبْلَهُما:

مَـنِ اسْـتَـجـارَ بـالـلـه أجـارَه، وكان عاقبةُ أمره فـوزًا ونصرًا يردُّ كيدَ الكائِدين، ويُمكِّنُ له أرْفَعَ تمكينٍ

بعد أن تبيّنَ للملك براءةُ يوسفَ ﷺ، ممّا كان قد رُميَ به من قِبَل امرأةِ العزيز، وهي البراءةُ الّتي ظهرت من خلال حوارِه مع النّسوةِ، ومع امرأةِ العزيز الّتي نطقت أمامَه بالحقّ في تبرئتِه ﷺ، واعترفتْ بأنّها هي الّتي راودَتْه خُضوعًا لداعي نفسِها الأمّارةِ بالسّوء، وكان قد عظُم أمرُه ﷺ في نفسِ الملك، حين عبَّرَ له رُؤياه، ودلَّه على ما سيكونُ من قحْطٍ في السّنين السّبعِ، وأرشدَه من خلال تعبيرِه رُؤياه كذلك إلى ما يَنبغي أن يَفعَلَ لمعالجةِ آثارِ ما سَتُخلِّفُه السِّنون العجافُ من قحْطٍ، وما سيترتّبُ عليها من مجاعةٍ عامّةٍ، هنا أراد اللّه ليوسفَ ﷺ أن يعلُوَ شأنُه في الدّولة، لأمرٍ قد قدَّره، فبعثَ في نفس الملك الرّغبةَ بعد أن كلَّمه وسمعَه، في أن يَستخلصَه لنفسه؛ أيْ: بأن يكونَ ضمْنَ رجالِ مُلكِه، وأن يتولَّى فيها مَنصبًا يليقُ به، فكان ما كان، وقيل ما قيل ممّا حكَتْه الآيتانِ الكريمتانِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ﴾: فعلٌ مضارعٌ أصلُ مادَّتِه (خلص)، وهو أصلٌ يدلُّ على تَنْقيَةِ الشَّيْءِ وَتَهْذيبِه[1]، وخَلصَ الشَّيْءُ خُلوصًا، إذا كان قد نَشَبَ ثُمَّ نَجا وسَلِمَ، وخَلَصْتُ إليه: وصلتُ إليه، وتقول: هو خالصتي وخُلْصاني، وهؤلاء خُلْصاني وخُلصائي؛ أيْ: أخِلّائي[2]، واسْتَخْلَصَهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلص).
(2) الخليل، العين: (خلص).

لنفسهِ: جَعَلَهُ خالِصًا لها[1]، واسْتَخلصه لنفسه: استخصَّها[2]، استخلص صديقًا: اختاره واختصَّه بدَخيلةِ نفسِه وجعلَه من خاصَّته، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾[3].

2) ﴿مَكِينٌ﴾: اسمٌ جَذْرُه (مكن)، وله أصلٌ واحدٌ[4]، يدورُ معناه حولَ رُسوخِ الشَّيْءِ مُتَجَمِّعًا في باطنٍ يَلْتَئِمُ عليه، كبَيْضِ الضِّبابِ والجَراد في باطنِهما، والتَّمكُّنُ: رُسوخٌ في باطنٍ، مكَّنَهُ منَ الشَّيءِ، ومكَّن له: جعلَ له عليه سُلطانًا وقُدْرَةً، والتَّمكينُ منَ الشّيء: إنالةُ ما يصحُّ به الفعلُ منَ الآلات والقوَى[5]، ورجلٌ مكينٌ: ذو مكانة عند السّلطان[6]، وفلانٌ مكينٌ عند فلانٍ: بيِّنُ المكانةِ والمنزلة[7]، ولفُلانٍ مَكانةٌ عِنْد السُّلْطان؛ أيْ: منزِلةٌ، وتمكّنتُ من كَذا وكَذا تمكُّنًا، واستمكنتُ مِنْهُ استمكانًا[8].

3) ﴿أَمِينٌ﴾: فعيلٌ من أمِنَ، وجَذرُه (أمن)، وهو أصلٌ يدلُّ على الأمانةِ الّتي هي ضدُّ الخيانة[9]، ورجلٌ أمينٌ؛ أيْ: مأمونٌ[10]، والأمينُ: القويُّ لأنَّهُ يوْثَقُ بقُدرته[11]، وهو ثقةٌ في نفسهِ[12]، "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١﴾ [الدّخان: 51]؛ أيْ: قد أمِنوا فيه الغِيَرَ، وأنتَ في آمنٍ؛ أيْ: في أمنٍ، ورجلٌ أَمْنَةٌ وأَمَنَةٌ؛ أيْ: يأمنُ كلَّ أحدٍ، وقيل يأمنُه النّاسُ ولا يخافون غائلتَه"[13].

4) ﴿خَزَآئِنِ﴾: جمعُ خِزانةٍ، وجَذرُ الكلمةِ (خزن)، وهو أصلٌ يدلُّ على صيانةِ الشَّيءِ، يُقالُ: خزنتُ الدّرهمَ وغيرَهُ خَزْنًا[14]، وخزنَ الشَّيءَ فلانٌ: يَخْزُنُه خَزْنًا إذا أحرزَه في

(1) الحميريّ، شمس العلوم: (استخلص).
(2) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (خلص).
(3) مختار، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (خلص).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكن).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(6) ابن دُرَيْد، جمهرة اللّغة: (مكن).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مكن).
(8) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (كمن).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(10) الحميريّ، شمس العلوم: (أمن).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (أمن).
(12) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 228.
(13) ابن سِيدَه، المُحكَم: (نأم، مقلوبُه).
(14) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خزن).

خِزانةٍ[1]، ومنه: خزنتُ المالَ: إذا جعلتَهُ في خزانةٍ[2]، ورُوِيَ عن لقمانَ الحكيم أنّه قال لابنه: (إذا كان خازنُك حفيظًا، وخزانتُك أمينةً، سُدْتَ في دنياك وآخرتك)، يعني: اللّسانَ والقلبَ. والخزانة: اسمُ المكان الّذي يُخزنُ فيه الشّيءُ، والخِزَانة: عملُ الخازن. قال ابنُ الأنباريِّ في قول الله ﷻ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [هود: 31]، قال: معناها: غيوبُ علْمِ الله الّتي لا يعلمُها إلّا الله"[3].

5) ﴿حَفِيظٌ﴾: الحِفْظُ يُقالُ تارةً لهيئةِ النَّفسِ الّتي بها يَثبتُ ما يُؤدّي إليه الفَهْمُ، وتارةً لضَبْطِ الشّيء في النّفس، ويضادُّه النّسيانُ، وتارةً لاستعمالِ تلك القوّةِ، فيُقال: حَفِظْتُ كذا حِفْظًا، ثُمَّ يُستعملُ في كلِّ تفقُّدٍ وتعهُّدٍ ورعايةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: 12][4]، وهو حفيظٌ عليه: رَقيبٌ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العلمُ والعقلُ يَرفعانِ صاحبَهما، ولا غضاضةَ في طلبِ التّمكينِ من الحفيظِ العليمِ

قال ملكُ مِصرَ لأعوانِه لمّا تَبَيَّنَ براءةَ يوسُفَ وعِلْمَهُ وعِظَمَ أمانتِه: جيئوني بِهِ أَجْعَلْهُ خالصًا لنفسي، لا يُشاركني فيه أحدٌ، ومن خُلصائي وخاصَّتي، فجاؤوه به، فلما كلَّمَهُ، وتبيَّن له عِلْمُه وعقلُه قال له: إنَّك يا يوسُفُ قد صِرتَ اليومَ عندنا صاحبَ مكانةٍ وجاهٍ ومؤتمنًا[6]. وهنا يظهرُ عَدمُ كراهةِ طَلَبِ الولايةِ إنْ كان عالمًا بها قادرًا عليها: قال يوسفُ لملكِ مِصْرَ: ولِّني على حِفْظِ خزائنِ المالِ والأقواتِ، في أرْضِ مِصْرَ، فإنّي خازنٌ أمينٌ، ذو عِلْمٍ وبَصيرةٍ بما أتَوَلّاهُ، كاتبٌ حاسبٌ، فَولّاه الملكُ الولايةَ الّتي طلبَها، وكان لِفِرْعَوْنَ

(1) الخليل، العين: (خزن).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (خزن).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خزن).
(4) الرّاغب، المفردات: (حفظ).
(5) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (حفظ).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 16/147، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/449، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.

خزائنُ كثيرةٌ، فأسْلَمَ سلطانَه كُلَّه إلى يوسفَ، وجَعَلَ القضاءَ إليه؛ أمرُه وقضاؤه في البلادِ نافذٌ[1]. وفي قوله تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾، دليلٌ على جوازِ طَلَبِ التَّولية وإظهارِ أنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لها، والتَّولّي مِن يَدِ الكافرِ، إذا عَلِمَ أنَّهُ لا سبيلَ إلى إقامةِ الحَقِّ، وسياسةِ الخَلْقِ إلّا بالاستظهارِ به[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواوِ في السِّياق:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ هي واوُ الاستئناف[3]، ويمكنُ أن تكون عاطفةً من باب عطفِ القصّة على القصّة. والجملةُ حكايةٌ لِما طلبَه الملكُ بعد أن سمع عن يوسفَ عليه السلام، وخصوصًا بعد أن بلغَه تعبيرُه لرؤياه. وفي الكلام حذفٌ يُفهمُ منَ المقام، والتّقديرُ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾، بعد أن سمعَ من ساقيهِ ما قاله يوسفُ، في تفسيرِ الرّؤيا ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾؛ أيْ: أحْضِروه لي لأراه وأسمعَ منه، وأستفيدَ من علْمِه[4].

الـــــواوُ لـلاسـتـئـنـاف، والجملةُ بعدَها مُستأنَفةٌ

معنَى (أل) في: ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ للعهدِ. والمعهودُ هو الملكُ الّذي كان في زمان يوسفَ عليه السلام، وقد عناه القرآنُ في حوارِه معه، ومن قبلُ كان حوارُه أيضًا مع النّسوةِ وامرأةِ العزيز، وهو الّذي رأى الرُّؤيا الّتي عبّرَها له يوسفُ عليه السلام.

الإشـــارةُ إلى فـــترةِ مُـلـوكِ الهكْسوسِ، في زمانِهم المشهودِ

دَلالةُ الأمرِ في فعلِ الأمرِ ﴿ٱئۡتُونِي﴾:

دلَّ الأمرُ في قوله تعالى: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ - وهو من كلام الملك -

أوامِـــرُ المـلـوكِ بـإحْـضـارِ مَـن يَـنـفـعُ قُـربٌ وشَرَفٌ وتَمكينٌ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/148، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/251، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/163.
(3) الخطيب وآخران، التّفصيل: 7/10، وصافي، الجدول: 13/11.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/373.

على الوجوبِ، حيث تعجّلَ الملكُ الإتيانَ به ﷺ، فخاطبَ عُمّالَه بما يدلُّ على سرعةِ استدعائِه.

معنَى الباءِ في الجارّ والمجرور ﴿بِهِۦٓ﴾، وعودُ الضّمير فيه:

الباءُ للمصاحبةِ؛ أيْ: معكم وبصُحْبتِكم. ويُلحظُ في ﴿بِهِۦٓ﴾، حيث يعودُ الضّميرُ في ﴿بِهِۦٓ﴾، إلى يوسفَ ﷺ لكونِه المعهودَ في هذا الحوارِ، وهذا سرُّ إضْمارِه.

اسْتِعمالُ الضّميرِ في مَوْضِعِه، مُغْنٍ عنِ الاسْمِ الظّاهِرِ

نُكتةُ زيادةِ السّينِ والتّاءِ في ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾:

نُكتةُ زيادةِ (السّين والتّاء) في ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾ هي المبالغةُ، كما في: استجابَ واستأجرَ. والمعنى: أجعلُهُ خالصًا لنفسي؛ أيْ: خاصًّا بي لا يُشاركُني فيه أحدٌ[1].

المبالغةُ زيادةٌ في التّوكيدِ، وإيضاحٌ في البيانِ

دَلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾:

يُقال: استخلصَه واستخصَّه، إذا جعلَه خالصًا لنفسه وخاصًّا به[2]، وفي التّعبيرِ به مضارعًا، دلالةٌ على حرْصِ الملك على التّمسُّك به وملازمتِه حالًا واستقبالًا، ويظهرُ من أحداث القصّة، أنّ المَشاهدَ قد بلغت قمّةَ التّعقيدِ، وأنّها قد وصلتْ إلى النّتائجِ المُتوخّاةِ منها، حيث وطّأتْ رُؤيا الملكِ المهادَ، وهيّأتِ الأسبابَ لمدّ الجسورِ بين الملك ويوسفَ ﷺ، فأصبحَ في مرتبةٍ ساميةٍ رضيّةٍ، مكّنَتْه من تسنُّم مقاليدِ الأمورِ، ليصبحَ عزيزًا بعد أن دخل مصرَ عبدًا ذليلًا، وقد رتّبَ السّياقُ ذلك بدقّةٍ وفصاحةٍ، ليؤكدَ قيوميَّتَه تعالى في تحقيق ما يريدُ، لمَن يريدُ، وكما يشاء ويريدُ.

الاسْتِخلاصُ اصْطِفاءٌ وقُرْبٌ يَنالُ به صاحِبُه مَكانةً وحُظْوةً عند الملك

معنَى اللّامِ في: ﴿لِنَفْسِى﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لِنَفْسِى﴾، هي لامُ السّبب، والّتي يسمّيها الثعلبي والواحدي وابنُ عاشور وغيرهم (لامَ الأجْل)؛ أيْ:

مَن وَثّقَ بالله الصّلاتِ، رفعَه الله إلى أعلَى الدّرجاتِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/481.

﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾ لأجل نفسي، والمعنى: "أستخلصه لنفسي: أيْ: أجعله خالصًا لي؛ أصْطَفيه، وأستأثرُ به.

وهكذا يخرجُ يوسفُ منَ السّجن إلى حيث يجلسُ مجلسَ الإمارة والسّلطانِ، فيكونُ من خاصّةِ الملك، المُقرَّبين إليه، المُشاركين له في الحُكم والسّلطانِ"[1].

بَلاغةُ الكنايةِ في: ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾:

الجملةُ (كنايةٌ) عن شِدّةِ تعلُّقِ الملكِ بيوسفَ عليه السلام

قوله تعالى: ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾، كنايةٌ عن شِدّةِ اتّصالِه به والعملِ معه[2]. "والاستخلاصُ: خلوصُ الشّيء من شوائبِ الشّركةِ، وقال ذلك لمّا كان يوسفُ نفيسًا، وعادةُ الملوكِ أن يجعلوا الأشياءَ النّفيسةَ خالصةً لهم دونَ غيرهم"[3].

دَلالةُ العطْفِ بالفاءِ في: ﴿فَلَمَّا﴾:

المبادَرةُ إلى انْتِقاءِ الكفاءاتِ الفعّالةِ، ضَرورةٌ لا بدَّ منها

سِرُّ إيثار العطف بالفاء: الدّلالةُ على إسراعِه في ذلك[4] الحكم، وهذا القرارِ الّذي اتّخذَه في حقِّه عليه السلام المُعبَّرِ عنه بقوله: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

دَلالةُ الحذْفِ في: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾:

الحذْفُ في الجملةِ اختصارًا، ولدلالةِ السّياقِ على المحذوفِ

في الكلام حذْفٌ دلَّ عليه السّياقُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾، وقولُه: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾، هو كلامٌ مُترتِّبٌ عليه؛ أيْ: (فأتَوا به)، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أو: (فأتَوْه به، فحضر لديه وكلّمه) ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾[5] فتكونُ قد حُذفت جملةُ (فأتَوا به) للعلمِ بها تحقيقًا للإيجازِ، وللإيذان بسرعةِ الإتيانِ به، فكأنّه لم يكن بين الأمرِ بإحضاره، والخطابِ معه، زمانٌ أصلًا[6].

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 7/4.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.
(3) درويش، إعراب القرآن: /5/25.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/130.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/286، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/6.

معنَى (لمّا) ودلالةُ التّعبيرِ بها:

إفـــادةُ (لمّـــا) للظّرفِ والشّرطِ

عبَّر بـ ﴿فَلَمَّا﴾ لدلالتِها على الظّرفيّةِ والشّرطيّةِ، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾؛ أيْ: حين كلّمه فهي للزّمان وللشّرط، فهي معدودةٌ ضمنَ أدوات الشّرطِ غيرِ الجازمة، "وفي هذا دلالةٌ على ما قاله المَلِكُ، إذ إنّه لمّا علمَ أمانةَ يوسفَ، اختاره لِيَستخلصَه لنفسه، في خاصِّ خدمتِه. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، لأنّه استدلَّ بكلامه على عقلِه، وبعصمتِه على أمانتِه، فقال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، وهذه منزلةُ العاقلِ العفيفِ"[1].

عوْدُ الضّميرَيْن في ﴿كَلَّمَهُۥ﴾:

تحقيقُ القولِ في عوْدِ ضميرَيِ الفاعلِ والمفعولِ في الجملةِ

يجوزُ أن يكونَ الفاعلُ ضميرَ المَلِك، والمفعولُ ضميرَ يوسفَ عليه السلام وهو الظّاهرُ، ويجوزُ العكسُ.[2] والرّاجحُ أنّ ضمير الفاعلِ للملك، وضميرَ المفعول ليوسفَ عليه السلام، وهو الأليقُ، "لأنّ مجالسَ الملوك، لا يَحسُنُ لأحدٍ أن يبدأ فيها بالكلام، وإنّما الّذي يبتدئُ به هو الملك"[3].

دَلالةُ ذِكْرِ جملةِ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾:

الآيـةُ تُـؤسّـسُ لإجراءِ المقابلاتِ الـشّـخـصـيّـةِ لاخـتـيـارِ الكفاءاتِ

فائدةُ هذه الجملة ودلالتُها، هو الإخبارُ بأنّ يوسفَ عليه السلام، قد امتلكَ كلَّ مُقوِّماتِ الذّكاءِ والفطنةِ والخِبرةِ، حتّى ظهرَ ذلك في كلامه ونطقَ به لسانُه، فما كان من أمر الملكِ إلّا أن يُرتّبَ على ذلك رغبةً في استخلاصِه لنفسه؛ ليكون واحدًا مهمًّا ممّن يَعتمدُ عليهم في دعمِ حُكمِه. ولعلّه كان يريدُه وزيرًا ومستشارًا، من فرطِ ما رآه فيه "من حكمةٍ وأدبٍ"[4]، وكأنّ الآيةَ بذلك تؤسّسُ لإجراء المقابلاتِ الشّخصّيةِ لاختيار الكفاءاتِ، أهلِ الأمانة والفطنةِ والخبرةِ والذّكاءِ، في تولّي عالي المناصبِ الّتي تُناسبُهم.

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/49.
(2) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 6/515.
(3) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاويّ: 5/48.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.

نُكتةُ الفصْلِ: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ﴾:

الفصلُ لاستئنافِ البيانيِّ (شِبْهِ كمالِ الاتّصالِ)

وذلك أن يكونَ القولُ، قد نشأ جوابًا عن سؤالٍ تقديرُه: فماذا قال له بعد أن كلَّمه؟

فكان الجوابُ: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ﴾، وعلى هذا فبين هذه الجملة المفصولةِ والّتي فُصلت عنها ما يُعرف بـ (شبْهِ كمال الاتّصالِ)، أوِ (الاستئنافِ البيانيِّ).

مَوقعُ جملةِ ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ﴾، منَ الشّرطِ السّابقِ:

لا حُكْمَ قبْلَ اختِبارٍ، وعندَ الخبرِ تَنْقطعُ الظّنونُ

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾، هو جوابُ ﴿فَلَمَّا﴾[1]، وقد مرَّ الكلامُ عن إفادةِ (لمّا) للشّرطِ والظرْفِ. "قال بعضُهم: إنّ مَن أمعنَ النّظرَ في قصّة يوسفَ عليه السلام، علمَ يقينًا أنّ التّقيَّ الأمينَ لا يُضيّعُ اللّه سعْيَه؛ بل يُحسنُ عاقبتَه، ويُعلي منزلتَه في الدّنيا والآخرة، وأنّ المعتصِمَ بالصّبرِ لا يخشَى حَدَثانَ الدّهرِ وتجاربَه، ولا يخاف صُروفَه ونَوائبَه، فإنّ اللّه يُعضّدُه، ويُنجحُ مسعاه، ويُخلّدُ ذِكْرَه العاطرَ على مَمَرِّ الأدهار"[2].

نُكتةُ التّوكيدِ في: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾:

الحِرْصُ على تَعْيينِ الأصْلَحِ مَنْهجٌ تَنْتظِمُ به مقاصِدُ العدلِ والإصْلاحِ

أفادَ التّوكيدُ الّذي دلَّ عليه في الجملةِ تصديرُها بـ (إنّ) التّوكيديّةِ، ثمّ بكوْنِ الجملة اسميّةً، على الاعتناء بشأنِه عليه السلام[3] من قِبَل الملك، وهو القولُ الذّي ترتّبَ على كلامه معه، في المقابلةِ الشّخصيّةِ الّتي أجراها له، ومن قِبَلِ الملك نفسِه، وليس بتكليف أحدِ وُجهاء الدّولةِ.

معنَى(أل) في: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ونُكتةُ تقديمِه:

المُرادُ بلفْظِ (اليوم)، يومُ التّكلّمِ نفسُه، الّذي جرَى فيه الحوارُ بين الملك ويوسفَ

في تقديم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ دلالةٌ على قصدِ الزّمن، وأنّه الآن في هذا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/190.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/6.

اليوم، وفي تلك اللّحظة هو لدَيه ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، لِيحترزَ به عن معنى التّسويف والتّأخير، وأنّه لم يُصبحْ عنده كذلك إلّا بعد حين، ووقتٍ طويلٍ.

نُكتةُ ذِكْر ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وأثرُها في السّياقِ:

تَثْبيتُ مكانةِ يوسفَ عليه السلام لدى الملك منذ لقائِهما أوّلَ يومٍ

في ذِكْر ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وسرِّ التّعبيرِ به دلالةٌ على أنّه عليه السلام قد حاز المكانةَ اللّائقةَ به عند الملك وأنّه قد صار لديه (مكينًا أمينًا)، في يوم لقائِهما نفسِه، بل في لحظتِه نفسِها، ولا يُفهمُ أنّ المُرادَ بذِكْر اليوم، كونُه معيارًا للمكانة والأمانةِ، بل هو مجّردُ آنِ التّكلّم، أُريدَ بذِكْره تحديدُ مبدئِهما احترازًا عن كونِهما قد صارا له بعد حينٍ[1] من العملِ والاختبارِ، كما يُقال الآن لِمَن يتولّى شيئًا: أمامك مدّةٌ كذا؛ هي مدّةُ اختبارك، وبعدها ننظرُ في أمرِ تَثْبيتِك في وظيفتِك، أو أنْ ترحلَ.

فائدةُ ذِكْرِ: ﴿لَدَيْنَا﴾:

الدّلالةُ على الاعْتِناءِ الحاضِرِ في الوقْتِ

في اختيار ﴿لَدَيْنَا﴾ وإيثارِه على (عندنا)، ما لا يخفَى منَ الاعتناءِ بشأنِه عليه السلام[2]، وذلك أنّ لفظَ (لدى) يدلُّ على أنّ ما تُضيفُه إليه حاضرٌ وقتَ الكلام، بخلاف (عندي)، فقد تدلُّ كذلك على ما هو غائبٌ[3]، ومِن ثَمَّ كان التّعبيرُ بـ ﴿لَدَيْنَا﴾ أشدَّ تمكّنًا ودلالةً منَ التّعبير بـ (عندنا).

نُكتةُ تقديمِ ﴿لَدَيْنَا﴾:

التّقديمُ للاخْتِصاصِ من فَصيحِ البيانِ

نُكتةُ تقديمِ الظّرف ﴿لَدَيْنَا﴾ على خبر (إنّ) - وهو قولُه: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ - هو إفادةُ الاختصاص. وهو تأكيدٌ لمعنى الاستخلاصِ في قوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾، فدلّ ذلك على أنّه رأى من كلامِه وحُسنِ منطقِه، ما صدّقَ به الخبرَ أو أربى عليه، إذِ المرءُ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/6.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/6.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 298.

مخبوءٌ تحت لسانِه، ثمّ لمّا زاولَ الأعمالَ، لم يزلْ يصعدُ في المراتب حتّى ولاه خُطّةَ العزيز[1]، فصار له أكبرُ رُتبةٍ بعد الملك في مصرَ، وذلك من توفيق اللّه الّذي أسبغَ على يوسفَ من نعمِه الظّاهرةِ والباطنةِ، ما تدلُّ عليه السّياقاتُ الآنفةُ واللّاحقةُ، وذلك فضلُ اللّه يُؤتيه مَن يشاءُ واللّه ذو الفضلِ العظيمِ.

نُكتةُ تَنْكيرِ ﴿مَكِينٌ﴾ و﴿أَمِينٌ﴾:

الجمعُ بين القوّةِ في التّسييرِ والأمانةِ في التّقديرِ تَكملُ به الشّخصيّةُ المتماسِكةُ

في تنكيرِ هاتيْن الصّفتَيْن الواقعتَيْن خبرًا، لـ (إنَّ) دلالةٌ على عِظمِهما في يوسفَ ﷺ، وخصوصًا لدى الواصفِ - وهو الملك - وفي عينِه، "قال ابن عبّاس: ويريدُ بقوله: مَكينٌ أمينٌ؛ أيْ: قد مكَّنتُكَ في مُلكي، وائتمنتُكَ فيه، وقال مُقاتِلٌ: المَكين: الوجيهُ، والأمينُ: الحافظُ"[2].

عِلّةُ تقديم ﴿مَكِينٌ﴾، على ﴿أَمِينٌ﴾ في السّياقِ:

النّظرُ إلى الكفاءةِ أسبقُ منَ النّظرِ إلى أمانةِ الكُفءِ، ولا غِنى بإخداهما عنِ الأخرى

قدَّمَ ﴿مَكِينٌ﴾ على ﴿أَمِينٌ﴾؛ لأنّ المقصودَ، هو أن يكونَ أمينًا على ما تمكَّنَ منه، وقام عليه من مصالحِ الدّولةِ وأمورِها، وهاتان هما الصِّفتان اللّتان يَنشدُهما كلُّ قائدٍ لأيِّ دولةٍ، أن يكونَ عُمّالُه من أهل الخبرةِ والعلمِ، بما مُكِّنوا عليه، ومن أهل الأمانةِ على ما وُكِّل إليهم وقاموا عليه وصار تحت مَسؤوليتِهم من أمور الدّولةِ ومصالحِ الرّعيّةِ.

دَلالةُ الأبْنيّةِ الصَّرفيّةِ، في ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾:

المَكانةُ والأمانةُ صِفتان تُؤهّلان صاحبَهما للزّعامةِ

قوله تعالى: ﴿مَكِينٌ﴾ صِفةٌ مشبّهةٌ من مَكُن - بضم الكاف - إذا صار ذا مكانةٍ، وهي المرتبةُ العظيمةُ، وهي مشتقّةٌ منَ المكان. وقولُه: ﴿أَمِينٌ﴾ فعيل بمعنى مفعولٍ؛ أيْ: مأمونٌ على شيءٍ؛ أيْ: موثوقٌ به في حفْظِه[3].

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/255.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/449.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.

نُكتةُ الفصْلِ: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي﴾:

وكما هو معهودٌ في المقاولاتِ والمحاوراتِ، أنّ كلَّ قولٍ منها يكونُ محمولًا على كونِه جوابًا لسؤالٍ مُقدَّرٍ، فكأنّه قيل: وماذا قال يوسفُ عليه السلام بعد أن قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾؟

أثَرُ الجُملةِ المفصولةِ بالاستئنافِ البيانيِّ (شِبْهِ كمالِ الاتّصالِ)

فائدةُ إضْمارِ ذِكْرِ يوسفَ عليه السلام:

أُضْمِرَ ذِكْرُ يوسفَ عليه السلام، فلم يَقُل المولى عزّ وجلّ: (قال يوسف)، للعلم بأنّه المقصودُ، فالحوارُ قائمٌ بين طرفيْن فقط، هما: الملك ويوسفُ عليه السلام، فأحدُهما يقول، والآخر يُجيبُه بقولٍ أيضًا.

إضْمارُ المعلومِ اخْتِصارٌ للكلامِ واستعمالٌ للمفيدِ دونَ إطنابٍ

دَلالةُ التّعبيرِ في: ﴿ٱجۡعَلۡنِي﴾:

أمّا من حيث المادّةُ؛ فهي من (جَعَل)، وهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها[1]، وأمّا الصّيغةُ فهي صيغةُ طلبٍ؛ أيْ: إنّه عليه السلام، طلبَ منَ الملك أن يُوَلّيه مسؤوليةَ القيامِ على الخزائنِ وهذا ما أثار سؤالًا: كيف يطلبُ عليه السلام الإمارةَ والولايةَ وهو أمرٌ منهيٌّ عنه ولا يليقُ بالأخيار؟ والجوابُ: إنّ محلَّ النّهيِ ما لم يتعيّنْ عليهم، فإن تعيَّن عليهم وجبَ طلبُها، ثمّ إنّ الأنبياء إنّما بُعثوا لإقامة الحقِّ والعدلِ، ووضْعِ الأشياء مواضِعَها، وعَلِم يوسفُ صلى الله عليه وسلم أنّه لا أحدَ أقومُ بذلك ولا أوْضَعُ له في مواضعِه منه، فسأل ذلك إرادةً للصّلاح، إضافةً إلى كونِ هذا الطّلبِ كان بوحيٍ منَ اللّه[2]، وأيضًا: فإنّ طلبَه عليه السلام كان بعد أن قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾، فما كان منه عليه السلام، إلّا أن يختارَ ما هو مُهيَّأٌ له مُتمكِّنٌ منه؛ ليقومَ بالمسؤوليّةِ عليه، وهو به خبيرٌ، ولتسهلَ عليه بعد ذلك أمانةُ القيامِ عليه بخيرِ ما يكونُ.

لا مانِعَ شَرْعًا من طلَبِ الولايةِ على ما يُحْسِنُه المرءُ، وخصوصًا إذا كانت مُتعيِّنةً

التّصرُّفُ في الخزائنِ مسؤوليّةٌ عُظمَى لا يَطلبُها إلّا عبقريٌّ أَحْوَذِيٌّ

نُكتةُ التّعبيرِ بحرفِ الاستعلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾:

تدلُّ ﴿عَلَىٰ﴾ كما هو معروفٌ، على معنى الاستعلاءِ، وهو هنا

(1) الرّاغب، المفردات: (جعل).

(2) الواحديّ، البسيط: 12/155، والصّاويّ، حاشية الصّاويّ على الجلالَيْن: 2/231.

استعلاءٌ مَجازيٌّ، مُعبَّر به عنِ التّصرُّف والتّمكُّن؛ أيْ: اجعلني مُتصرّفًا في خزائن الأرض[1].

غرَضُ التّعبيرِ بالخزائنِ بلفْظِ الجمعِ:

خزائنُ: جمعُ خِزانةٍ (بكسر الخاء)؛ أيْ: البيتُ أوِ المكانُ المُعدُّ لتخزين الحبوبِ والأموالِ، وفائدةُ التّعبير بالجمع: الدّلالةُ على أنّها كانت خزائنَ كثيرةَ. والخزائنُ: هي خَزائِن الطَّعام والأمْوالِ. وقال ربيعُ بنُ أنس: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ أيْ: على خَرَاجِ مصرَ ودَخْلِها[2].

خـزائـنُ الـدّولـةِ تَقْتضي ضَخامةً وفَـخـامـةً يُـعـبَّرُ عـنـهـا بـصـيـغـةِ مُنتهَى الجُموعِ

دَلالةُ (أل) على العهْدِ في: ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ للعهد، والمُرادُ بها أرضُ مصرَ، الّتي هي لكثرة خيرها كأنّها الأرضُ كلُّها[3].

عظُمَ خيرُ مصرَ وتَـنـامَـى حتّى أُطلقَ عليها لفظُ الأرضِ تفخيمًا

وقد أطلقَ اللّه عليها ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ كذلك، في قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ [القصص: 6]، وقيل: جُعلت الألفُ واللّامُ في ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ بدلًا من تعريف الإضافة؛ أيْ: بدلًا من أن يقول: (اجعلني على خزائن أرضِكَ).

غرَضُ الإضافةِ في: ﴿خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

من الأغراضِ الّتي حقّقتْها الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: توسيعُ المعنى؛ فكلمةُ الأرض كلمةٌ واسعةٌ في مدلولها، حتّى لو كانت منصرفةً إلى (مصر) وحدَها، وفي هذا دلالةٌ على كثرة الخزائنِ، وعلى اتّساع المسؤوليّةِ.

تَـوسـيـعُ المعنَى يَقْتَضي الإضافةَ، ويَـسْـتَـوعِـبُ المعنى المُرادَ

نُكتةُ الفصْلِ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾:

وجُملةُ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ جُملةٌ تعليليّةٌ، علّلتِ الطّلبَ السّابقَ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ أيْ: لأنّي ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾، ويمكنُ

الـجُـمـلـةُ المفْصولةُ جملةٌ تعليليّةٌ، وهي مُؤدّيةٌ للغرَضِ ببيانٍ فصيحٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/8.
(2) السّمعانيّ، تفسير القرآن: 3/40.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/131.

أن يكونَ سببُ الفصل الاستئنافَ البيانيَّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدّرٍ. وكونُها تعليليّةً هو سببُ فصلِها عمّا وقعتْ علّةً له.

نُكتةُ تَوالي المُؤكِّداتِ في الفاصلةِ:

كـــثرةُ وُرودِ المُـؤكِّـدات على مـحـلٍّ واحـــدٍ دليلٌ على أهميّةِ المؤكَّدِ

ذكر البيان القرآنيُّ في قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ عددًا من المؤكِّدات؛ هي: البدءُ بـ (إنّ)، واسميّةُ الجملةِ، والاسميّةُ فيها معنى الثُّبوتِ، والنّصُّ على وصفَيْن ما أكملَ مَنِ اتّصفَ بهما، وهما: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي كثرة المُؤكِّدات دليلٌ على أهمّيّة المُؤكَّدِ، كما أنّ فيها طمأنةً للملك بتنزيلِه منزلةَ الشّاكِّ، رغم أنّه لم يكن كذلك، كي يُشعرَه بأنّ اختيارَه له كان في محلِّه.

نُكتةُ اخْتِيارِ هذين الوصفَيْن: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

صِفَتا الحفظ والعلم هما سِرُّ الاخْتِيارِ في بـاب المسؤوليةِ والولايةِ

اختار القرآنُ الكريمُ هذيْن الوصفَيْن دون غيرِهما؛ لأهمّيّتِهما أكثرَ من غيرِهما في الباب الّذي ذُكرا فيه، وهو بابُ المسؤوليّة والولايةِ، فقد وصَف نفسه "بالأمانةِ والكفايةِ اللّتيْن هما طِلْبةُ الملوك ممّن يُوَلّونه؛ وإنّما قال ذلك ليتوصّلَ إلى إمضاء أحكام اللّه تعالى وإقامةِ الحقّ وبسْطِ العدلِ، والتّمكّنِ ممّا لأجلِه تُبعث الأنبياءُ إلى العباد"[1]، قال الشّعراويُّ: "والمشكلةُ في مجتمعاتِنا المعاصرةِ، إنّما تحدثُ عندما يُرجِّحُ الحاكمُ مَنْ يراهم أهلَ الثّقة على أهل الخبرةِ والأمانةِ، فتختلُّ موازينُ العدل. وعلى الحاكم الذّكيِّ أن يختار الّذين يتمتّعون بالأمرَيْن معًا: أمانةٌ عند المحكوم، وثقةٌ عند الحاكم، وبهذا تعتدلُ الحياةُ على منهج اللّه"[2].

دَلالةُ البِناءِ الصّرفِيِّ للصّفتَيْن: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

صيغَتا المبالغةِ لونٌ منَ التّنْبيهِ، عـن أهـمّـيّـةِ اتّصافِ الموصوفِ بهما

قوله تعالى: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، كلاهما مبالغةٌ من: (حافظ) و(عالم)، وهدفُ المبالغة، بيانُ أنّه بالغٌ الغايةَ في هاتيْن

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/482.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/6997.

الصّفتَيْن، ولا غَرْوَ فهو رسولٌ يرى بنور الله الّذي يُضيءُ له عن طريق الوحْيِ دُروبَه.

نُكتةُ تنكيرِ هاتيْن الصّفتَيْن: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

التّنكيرُ للتّعظيم، من فصيحِ البيانِ

في تنكير هاتيْن الصّفتَيْن الواقعتَيْن خبرًا لـ (إنَّ)، دلالةٌ على عِظمِهما في يوسفَ عليه السلام وتمكّنِه منهما.

نُكتةُ التّقديم والتّأخيرِ بين هاتيْن الصّفتَيْن:

المحافظةُ على أصلِ الشّيءِ مُقدَّمٌ على صلاحِه واسْتِنْمائِه

في تقديم ﴿حَفِيظٌ﴾ على ﴿عَلِيمٌ﴾ سرٌّ بليغٌ، ذلك لأنّ ﴿حَفِيظٌ﴾ معناه: قادرٌ على ضبطِ ما إليّ، أمينٌ فيه. و﴿عَلِيمٌ﴾: أيْ: بالغُ العلمِ بوجوه صلاحِه واستِنْمائِه[1] ولا شكّ أنَّ المحافظةَ على أصل الشّيء مُقدّمٌ على صلاحه واستِنْمائِه.

فائدةُ التّقابُلِ بين ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ و﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

الصّفتان على لسانِ الملك كالمِصْداقَين للسّابقَتَين من ذكرِه عليه السلام

في ذِكْر صِفتَيْ: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ في كلام الملك وصفتَيْ: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ في كلام يوسفَ عليه السلام تناسُبٌ عن طريق التّقابُلِ، فقد قابَل صِفتَيْن بصِفتَيْن، فالملك قد وصفَه بما هو جديرٌ بوصفِه لِما رآه منه، فأراد يوسفُ عليه السلام، أن يؤكّدَ للملك أنّه حقيقٌ بما وصفَه؛ لأنّه متّصفٌ بما يَفي بواجبِهما، وذلك هو: صفةُ الحفظ المحقِّقِ للائتمان، ولتحصيل الدّخْلِ والمال، ومعرفةِ مصالحِ النّاس، وصِفةُ العلم المحقِّقِ للمكانة، ومواضعِ صرفِ المال وجهاتِه[2]، بأنْ يكون الصّرفُ في موضعِه بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(أَسْتَخلصُه) و(أتّخذُه) و(أجعلُه):

الاستِخلاصُ هو الانْتِقاءُ من بين اختياراتٍ، والتّطهيرُ من كلِّ الشّوائبِ، والمُستخلَصُ المُنتقَى ممّا سِواه

﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾: يُقال: استخلَصه واستخصَّه، إذا جعلَه خالصًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/131.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 81/474، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/9.

لنفسه وخاصًّا به[1]، والخالصُ كالصّافي، إلّا أنّ الخالصَ هو ما زال عنه شَوبُهُ، بعد أن كان فيه، والصّافي قد يُقال لِما لا شَوبَ فيه[2].

والمعنى المِحوريُّ له: نفاذُ الشّيء نقيًّا من أثناءِ ما كان يُخالطُه أو يَشوبُه؛ كالسَّمن والذَّهَب والفِضَّة، بعد تميّزِهنّ ممّا كنّ يختلطن به. قال ﷻ: ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا﴾ [النّحل: 66]؛ أيْ: نافذًا من بينِهما نَقيًّا، ومعنى ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: أصْطفيه وأنْتَقيه وأتّخذُه من بين مَن حولَه[3] وأجعلُه خالصًا لنفسي؛ أيْ: خاصًّا بي لا يُشاركني فيه أحدٌ[4].

وأمّا (جَعَلَ) فهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها، وهو أعمُّ من فَعَلَ وصَنَعَ وسائرِ أخواتِها[5]، وتأتي (جعل) وما تصرّفَ منها في القرآن الكريم بمعنى التّحويلِ والتّهيئةِ على وضعٍ، أو للخَلْقِ، وهو تحويلٌ للهيئة بإنشاء هيئةٍ جديدةٍ[6].

وأمّا (اتّخذ) فمِنَ الأخذِ، وهو حَوْزُ الشّيء وتحصيلُه، وذلك تارةً بالتّناوُلِ نحوَ قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: 79]، وتارةً بالقهر، نحوَ قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: 255][7].

والمعنى المِحوريّ له: حَوْزُ الشّيء في الأثناء، ضمًّا أو قبضًا على غِلَظٍ ماديٍّ أو معنويٍّ؛ كبدء السِّمَن في البعيرِ، وغلظُه هنا هو حِدّةُ الشّحم أو عُسْرُ البدء[8].

وبعد هذا العرضِ الّذي يظهرُ منه عمومُ معنى (جعل)، وأنّه ماضٍ على كلّ فعلٍ منَ الأفعال، دون تمييزٍ لشيءٍ فيه عن غيره، ويظهرُ منه كذلك ما في (اتّخذ) من معنى التّناولِ مع الحَوْز، سواءٌ أكان المُتَّخذُ متناوَلًا باليد، كالأشياء العينيّة الماديّة، ومنه قولُه تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ [التّوبة: 103]، أم كان تناولًا معنويًّا، بالامتثالِ والطّاعةِ مثلًا،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/481.
(2) الرّاغب، المفردات: (خلص).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلص).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/7.
(5) الرّاغب، المفردات: (جعل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جعل).
(7) الرّاغب، المفردات: (أخذ).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أخذ).

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، وكلا اللّفظَيْن وإن كان بينهما وبين الاستخلاصِ اشتراكٌ في المعنى العامّ، لكنْ يبقى لكلمةِ ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾ هنا، تَجلّياتُها الّتي لا تظهرُ لغيرها، إذ إنّها تعني الانتقاءَ من بين اختياراتٍ، والتّطهيرَ من كلّ الشّوائبِ، وكأنّ المُستخلَصَ هو الخلاصةُ النّقيّةُ من كلّ شيءٍ، كما كان يوسفُ ﷺ الأكملَ والأنْقَى في نظر المَلك، من كلِّ مَن حولَه، حتّى استخلصَه من بينهم. ولذلك جعلَه الله تعالى وصْفًا للمنتَقَيْن، المُطهَّرين المُختارين من عباده، فسمّاهمُ العبادَ المخلَصين في عدد منَ الآيات؛ أيْ: المُختّصين به المُستخلَصين له، وتأمّلْ هذا المعنى في حقّ يوسفَ خاصّةً في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: 24]، فكان ﷺ بهذا مُستخلَصًا من ربّه، ومستخلَصًا من خَلْقه، فجمع بين الكمالَيْن، فهل بعد ذلك يسوغُ أن يُنسبَ إليه ﷺ شيءٌ منَ الرّيْبِ الّذي لاكَتْه ألسنةُ بعض المُفسّرين اعتمادًا على سقيم الرّواياتِ، ورأسِ الموضوعاتِ؟

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»